مقتطفات

« من كتاب الحيوان للجاحظ »

كنت منذ سنين قرأت كتاب الحيوان للجاحظ وعدت الى قراءته فاقتبست منه عدداً من المصطلحات والملحوظات أذكر منها طائفة فيما يلي :

أوردتُ في الصفحة ١٩٥ من المجلد الحادي عشر من هذه المجلة ان ابن العوام استعمل لفظة «الصنف» بمعنى Variété وقد اتخذ الجاحظ ايضاً تلك اللفظة لذلك المعنى . قال في ج ٢ ص٧٩ و٨٠ « ومن اصناف الكلاب مايحمل ربع السنة » .

واستعمل حرفي القسمة والتصنيف بمعنى Classification فقال (ج ٤ ص ٩٠) « وقد وضع الكلام على قسمة أجناس الحيوان وعلى تصنيف ضروب الخلق ... » .

ولقد قلت مراراً ان كتّاب العرب الأقدمين كانوا يطلقون الفاظ جنس ونوع وصنف وضرب على مختلف حلقات التصنيف لأن وضع هذه الحلقات وتثبيتها هما عمل من أعمال البارحة فترى الجاحظ مثلاً يستعمل لفظة « الضرب » «لأنواع » Espèces من الطيور حيث يقول (ج٣ ص٤٥) « والقمريات حمام والفاختة حمام والورشان حمام وكذلك اليمام وضروب أُخرى » . اما في الصفحة ٦٦ من المجلد ٥ فتراه يستعمل لفظة «الضرب» المذكورة بمعنى Catégorie او Division وذلك في الجملة الآتية :

« والطير كله على ثلاثة أضرب فضرب من بهائم الطير وضرب كسباع الطير وضرب كالمشترك المركب منهما جميعاً » . وهو يطلق لفظة « الجنس» على ماسمي بالفرنسية Espèce اذ يقول (ج ٥ ص٦٧) « والأجناس التي تعايش الناس الكلب والسنور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والفرس والبعير » . اما لفظة النوع فهو يعبر بها عن الحلقات Genre و Espèce و Variété على السواء في مواضع شتى .

وقرأت في الصفحة ٨٣ من الجزء الثالث « واجعل حمام النساء المسرولات العظام الحسان ... واجعل حمام الفراخ من غير ذوات الأعراق الكريمة » . فالأعراق هنا بمعنى Races لأن هذه الحلقة هي حلقة الأصناف التي رسخت صفاتها وتأصلت (انظر مجلة المجمع سنة ١٩٣٠ ص١٩٣) .

والخلاصة ان حسن حظ اللغة جعل علماء اليوم يتفقون على تخصيص Genre الاعجمية بلفظة جنس و Espèce بلفظة نوع حتى صار القول في هذا الباب شيئاً يكاد يكون من الفضول . اما تخصيص Variété بلفظة صنف فقد كان انكره عليّ العالم الدكتور محمد شرف صاحب المعجم في العلوم الطبية والطبيعية مع ان ابن العوام والجاحظ لم ينكرا ذلك . وانكر ايضاً اطلاق العرق على Race مع أن ذلك له وجه كما ترى وكذا لفظة رس للعلامة الأب انستاس .

والقضية ليست سوى تواضع العلماء على تخصيص كل حلقة من سلسلة التصنيف بلفظة واحدة ولهذا لايجوز ان يفرض احد العلماء في هذا الصدد رأيه على سائر علماء العربية فرضاً . واذا كان المجمع العلمي العربي بدمشق يدرج في مجلته آراء اعضائه في هذه الألفاظ وفي كل المصطلحات العلمية الحديثة دون ان يقرها في جلسة رسمية فما ذلك الا لعلمه ان هنالك أقطاراً عربية أخرى غير الشام فيها علماء لهم آراء محترمة وانه لايجوز ان تقرّ لفظة ما رسمياً الا في مجمع علمي مشترك ابرحنا نرقب تأسيسه . اما ومجمعنا في دمشق يراعي هذه المسألة المهمة الى هذا الحد فأحر بالأفراد العلماء في مصر والعراق خاصةً ان يتئدوا ويتواضعوا قليلاً فلا يلزمونا بآرائهم كأنها قرآن منزل وليرقبوا مثلنا ظهور هذا المجمع المشترك حيث يرون المجال متسعاً لتحري أصلح الألفاظ للمعاني العلمية الحديثة .

وهنالك مؤلفون ربما اقتبسوا وانتحلوا الألفاظ التي وضعها أعضاء مجمعنا فحبذا لو عدل هؤلاء فلم يجعلوا حظنا منهم كحظ العلامة الدكتور امين باشا المملوف من الاستاذ المحقق الدكتور شرف فان الثاني اقتبس في مجمعه كثيراً من ألفاظ معجم الحيوان تأليف الاول دون ان يذكر معجم الحيوان في جملة المنابع التي استقى منها . ولا شك ان ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سهو وقع فيه الاستاذ شرف (جل من لاعيب فيه) لكنه لايجوز ان يسهو علماؤنا عن مثل هذا ·

ولنعد بعد هذا الاستطراد الى ذكر بعض الألفاظ التي لفتت نظرنا في كتاب الحيوان · قال الجاحظ في (ج٣ص٨٣) : « جميع الفراسة لاتخرج من اربعة أوجه اولها التقطيع والثاني المجسة والثالث الشمائل والرابع الحركة ··· فالتقطيع انتصاب العنق ··· واتساع المنخرين ··· وقصر المنقار » الخ · وهنا يلحظ انه استعمل لفظة التقطيع بمعنى Morphologie تماماً قال : « هذه أعلام الفراسة في التقطيع » · قلت اي في المورفولوجيا ·

اما المجسة فاستعملها بمعنى Maniement وكنت ذكرتها لهذا الغرض · واماالشمائل فبمعنى Caractères ·

وجاء في (ج٧ص٤٨) « وقد يكون في الخلق المشترك وغير المشترك ··· فالمشترك مثل الانسان الذي يأكل الحيوان والنبات » · فترى ان لفظة المشترك في هذا الباب تصلح للتعبير عن كلمة Omnivore الفرنسية ·

وأورد في (ج٣ص٨٣) الجملة الآتية في تدجين بعض الحيوانات « ولا بد لجميعها من الصرامة ومن التعليم اولاً والتوطين آخراً » فلفظة التوطين أطلقها على Acclimatation وهي كالايلاف الاقليم التي ذكرتها في مقال سابق ·

ولفت نظري في (ج ٢ ص ٧٩ و ٨٠) تعبيران يفيدان الغاية اي بمعنى Au maximum وهما « اطول مايكون » و « في الفرط » في الجملتين الآتيتين :

« والكلبة الانثى تحمل واحداً وستين يوماً أطول مايكون » ·

« واكثر مانضع الكلبة اثنا عشر جرواً وذلك في الفرط » ·

ورأيت في (ج ٢ ص١١٥) الجملة الآتية : « ويكون مثله من الناس الزنج فانهم شرار الناس وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً · ورأيت فيها ايضاً عن الغراب « فيكون اختلاف تركيبه وتضاد أعضائه ··· » · فالذي يلفت النظر في هاتين الجملتين لفظة التركيب فالجاحظ سافها بمعنى Composition على حين ان بعض الكتاب يترجم هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللفظة الأجنبية بحرف « بنـاء» . وأظن ان هذا الحرف الأخير كان استعمله العلامة الفقيد يعقوب صروف ثم عدل عنه للفظة التركيب وهي لاغبار عليها وتفيد المعنى المذكور .

وقرأت في (ج٤ص١٠٣) « غرائز أخر وخاصيات أخر » . وفي (ج٢ص٨٢) « ولم ينبهوني على هذه الخاصة التي فيه » . قلت ان لفظة الخاصة بمعنى Propriété موجودة في الأمهات لكنك لاتجد فيها لفظة الخاصية بالياء . ومع ذلك عثرت على اللفظة الاخيرة في مادة «سنبل» من القاموس مع ان الفيروزابادي لم يذكرها في مادتها . والخاصية من المولدات كالفاعلية وأشباهها .

وتمثل الجاحظ في (ج٢ص١٠٨) بالبيت الآتي :

يا ليلة لي في حوران ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

وأورد ذلك البيت في (ج ص ٧٢) هكذا :

يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

قلت سواء أكانت ليلة الشاعر في حوران ام في حوّارين (قرية في عمل القريتين الى شرقي حمص الجنوبي) فان الذي يلفت النظر قوله ليلة ساهرة وهو تعبير نصت عليه المعاجم . وهنا يرد على البال السؤال الآتي وهو الا يجوز ان نقول على هذا القياس ليلة راقصة وليلة عازفة بمعنى Soirée dansante و S.musicale من البديهي ان الليلة لاترقص ولاتعزف . لكنهـا لاتسهر ايضاً . فكما جاز استعمال اسم الفاعل من « سهر » كذلك يجوز استعماله من الفعلين المذكورين ولو مع التجوز . وأمثال ذلك كثير .

وأدخل الجاحظ في (ج٦ص١٥٩) ال التعريف على (غير) في الجملة الآتية : « وخبرني بعضهم انه رأى من يبكي باحدى عينيه و باتي يقترحها عليه الغير » . وهذا الوجه جائز لدى بعض اللغويين .

وكان بعضهم انكر استعمال حرفي جر متعاقبين مع انهم نصوا على جوازه . وقرأت في (ج٥ص١٢٠) « فكنت والله ارى البعوضة تطير من على ظهر الثور » .

وأدخل التاء على لفظة العنز وهو غريب قال في (ج٥ص١٤٧) « انني اتخذت عنزة رجوت رِسْلها ونسلها » . وجاءت ايضاً كذلك قبل بضعة أسطر .

واستعمل لفظة القوصرة بمعنى الأصيص « شقفة زريعة » . قال في (ج٥ص١٢٥)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقالوا لي ان الأراك انما ينبت من الأراك يغرس في جوف طين في قواصر و يسقى الماء اياماً ... » .

وفي الصفحة ١١٠ من الجزء ٣ وجدت لفظة القبو (ج ٠ الأقباء) بمعنى (ave وبودروم) اي بالمعنى الذي نعرفه في ايامنا هذه . قال « والباقلاء اذا عتق شيئاً في الأقباء استحال كله ذباباً فربما أغفلوه في تلك الأقباء ... » .

وقسم الطيور الى قواطع وأوابد . و يقابلهما بالفرنسية Oixaux migrateurs و O.indigènes قال في (ج ٢ ص ٦٥) والخطاف من القواطع غير الأوابد اذا قطع الى الأنس لم يبن بيته الا في أبعد المواضع » .

وجاء في (ج ٢ ص ١٠٤) « وقد قالوا رجل ورحلة وشيخ وشيخة » .

واستعمل في (ج ٣ ص ٩٩) لفظة القائلة بمعنى Sieste كما وردت في المعاجم . وكان استعماله اياها على أوجه شتى قال « كنت أريد القائلة فأمرت باخراج الذباب ... فكنت أدخل الى القائلة فيأكلني البعوض ... فأتيت ذات يوم المنزل في وقت القائلة ... » .

وفي (ج ٣ ص ٤٥) ذكر الماعزة والضانية بمعنى العنز والنعجة .

ومن التعبيرات الشيقة التي لفتت نظري « عبد عين » في الجملة الآتية الواردة في (ج ٣ ص ٢٦) وهي :

« ويقال للمرائي ولمن ذا رأى صاحبه تحرك له وأراه الخدمة والسرعة في طاعته واذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك انما هو عبد عين » .

ومنها « النفخ والتزبيد » الواردة في (ج ٧ ص ٥٦) حيث قال « واعلم ان هذه الأحاديث من أحاديث الفرس وهم اهل نفخ وتزبيد ولا سيما في كل شيء مما في باب العصبية » .

ومنها الوصف الآتي للرجل المجد في (ج ٣ ص ٢) « إلف تفكير وتقدير ودراسة كتب وحلف تبيين » .

ومنها في وصف الكتب القديمة ووصف حظها التعس من المترجمين والخطاط (ج ١ ص ٤٠) « كتاب متقادم الميلاد دهري الصنعة .. فما ظنكم بكتاب يتعاقبه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المترجمون بالإفساد وتلعاوره الخطاط بشر من ذلك » .

ومنها تعبيرات مابرحت شائعة على الألسنة كضرّاب اللبن في الجملة الآتية التي تجدها في (ج ٤ ص ١٣٩) « ولم أر سقاء قط بلغ حال اليسار والثروة وكذلك ضرّاب اللبن والطبان والحراث ... » . وكعلّقوا على دوابهم في الجملة الآتية الواردة في الصفحة ١٣٥ من الجزء نفسه « .. حين نزلوا وبهم كلال السير وحين علّقوا على دوابهم ... » .

هذه طائفة مما اقتبسته من ذلك السفر الثمين فلعل فيها فائدة للكتاب والمترجمين .

مصطفى الشهابي